فضل قتال الخوارج



للشيخ حمد بن حمود التميمي

بيت المقدس



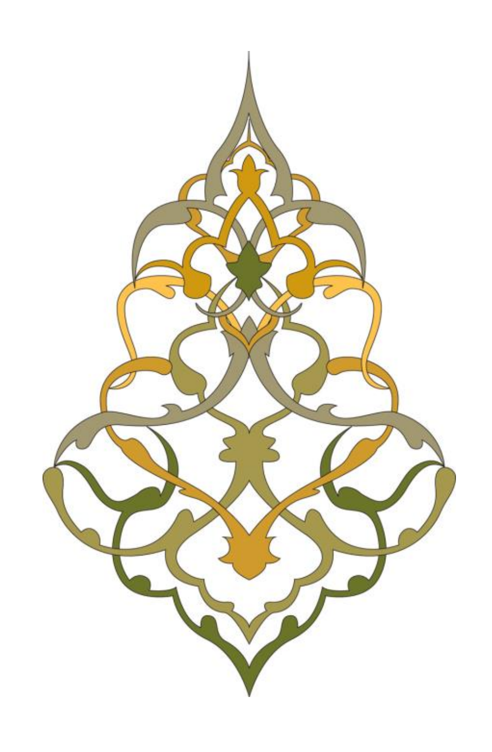
1442 هـ 2021 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

فضل قتال الخوارج

للشيخ حمد بن حمود التميمي (حفظه الله)



بيت المقدس

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

الفضيلة الأولى: الفضيلة الكبرى المخفية لمن قتل الخوارج

روى مسلم في صحيحه (1066) عن زيد بن وهب الجهني، «أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي ﵁، الذين ساروا إلى الخوارج، فقال علي ﵁: أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قوم من أمتي يقرءون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية» لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم، ما قضي لهم على لسان نبيهم ﷺ، لاتكلوا عن العمل، «وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد، وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض» فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله، قال سلمة بن كهيل: فنزلني زيد بن وهب منزلا، حتى قال: مررنا على قنطرة، فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي، فقال: لهم ألقوا الرماح، وسلوا سيوفكم من جفونها، فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء، فرجعوا فوحشوا برماحهم، وسلوا السيوف، وشجرهم الناس برماحهم، قال: وقتل بعضهم على بعض، وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان، فقال علي ﵁: التمسوا فيهم المخدج، فالتمسوه فلم يجدوه، فقام علي ﵁ بنفسه حتى أتى ناسا قد قتل بعضهم على بعض، قال: أخروهم، فوجدوه مما يلي الأرض،

فكبر، ثم قال: صدق الله، وبلغ رسوله، قال: فقام إليه عبيدة السلماني، فقال: يا أمير المؤمنين، آلله الذي لا إله إلا هو، لسمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: إي، والله الذي لا إله إلا هو، حتى استحلفه ثلاثا، وهو يحلف له».

قال القرطبي في المفهم (9-89): "لاتَّكلوا على ثواب ذلك العمل، واعتَمدوا عليه في النجاة من النار والفوز بالجنة، وإن كانت الأعمال لا تُحصّل ذلك، كما قال ـ ﷺ: «لن ينجي أحدًا منكم عمله»، لكن ذلك العمل الذي هو قتلهم عظيم، وثوابه جسيم، بحيث لو اطلع عليه صاحبه؛ لاعتمد عليه، وظن أنه هو الذي ينجيه" انتهى.

وروى مسلم (1066) عن علي ﷺ قال: «ذكر الخوارج فقال: «فيهم رجل مخدج اليد، أو مودن اليد، أو مثدون اليد»، لولا أن تبطروا لحدثتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم، على لسان مُحَمَّد ﷺ، قال قلت: آنت سمعته من مُحَمَّد ﷺ؟ قال: إي، ورب الكعبة، إي، ورب الكعبة، إي، ورب الكعبة».

وفي رواية لعبد الرزاق في مصنفه (18657) «والله لولا أن تبطروا لأخبرتكم بما سبق من الفضل لمن قتلهم».

وفي رواية الآجري في الشريعة (53) عن عبيدة يعني السلماني قال: «شهدت مع علي بن أبي طالب ﷺ النهر، فلما قتلت الخوارج قال علي بن أبي طالب ﷺ: إن فيهم رجلا مخدج اليد أو مودن اليد، قال: فنظروا فلم يقدروا عليه، فقال ذلك ثلاثا ثم قال: انظروا وقلبوا القتلى، فاستخرجوا رجلا آدم مثدنا يده اليمنى كأنها ثدي المرأة، فلما رآه استقبل القبلة ورفع يديه فحمد الله وأثنى عليه وشكر الله الذي ولاه قتلهم، والذي أكرمه بقتالهم، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: لولا أن تبطروا لحدثتكم بما سبق على لسان النبي ﷺ من الكرامة لمن قاتل هؤلاء القوم».

قال ابن هبيرة في الإفصاح (280-1) معلقا: "فيه من الفقه توفر الثواب في قتل الخوارج، وأنه بلغ إلى أن خاف علي ﷺ أن يبطر أصحابه إذا أخبرهم بثوابهم في قتلهم" انتهى.

جاء في عون المعبود (76-13) :"«لولا أن تبطروا» من البطر وهو شدة الفرح أو الطغيان عند النعمة أي لولا خوف البطر منكم بسبب الثواب الذي أعد لقاتليهم فتعجبوا بأنفسكم خبّرتكم" انتهى.

قال السندي في حاشيته على سنن ابن ماجه (72-1) :"«ولولا أن تبطروا» كتفرحوا لفظا ومعنى والمراد لولا خشية أن تفرحوا فرحا يؤدي إلى ترك الأعمال وكثرة الطغيان" انتهى.

الفضيلة الثانية: الأجر العظيم والثواب الجزيل لقاتل الخوارج

جاء في الصحيحين (خ 6930 – م 1066) عن علي ﷺ قال: «إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ حديثا، فوالله لأن أخر من السماء، أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم، فإن الحرب خدعة، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج قوم في آخر الزمان، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة».

وهنا لفظة (أجرا) جاءت نكرة والتنكير يأتي للتعظيم والتفخيم أي فإن في قتلهم أجرا عظيما لمن قتلهم يوم القيامة.

قال القاري في المرقاة (6-2311): "«فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا» أي عظيما «لمن قتلهم يوم القيامة» " انتهى.

بل قد جاء هذا مصرحا به في رواية ابن مسعود ﷺ، فروى الإمام أحمد (3831) بإسناد حسن كما قال الأرناؤوط في تعليقه على المسند عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج قوم في آخر الزمان، سفهاء الأحلام، أحداث – أو قال: حدثاء – الأسنان، يقولون من خير قول الناس، يقرءون القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، فمن أدركهم، فليقتلهم، فإن في قتلهم أجرا عظيما عند الله، لمن قتلهم».

وروى الإمام أحمد (20382) والحارث بن أبي أسامة في مسنده (بغية الباحث 704) عن عثمان الشحام، حدثنا مسلم بن أبي بكرة، وسأله هل سمعت في

الخوارج من شيء؟ فقال: سمعت والدي أبا بكرة، يقول: عن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا إنه سيخرج من أمتي أقوام أشداء أحداء، ذلقة ألسنتهم بالقرآن، لا يجاوز تراقيهم، ألا فإذا رأيتموهم فأنيموهم، ثم إذا رأيتموهم فأنيموهم، فالمأجور قاتلهم» وصحح إسناده البوصيري في إتحاف الخيرة (4-218) وقال الأرناؤوط في تعليقه على المسند (34-97): إسناده قوي.

أي المأجور على الحقيقة والكمال قاتلهم.

قال العيني في عمدة القاري (144-16): "وإنما كان الأجر في قتلهم لأنهم يشغلون عن الجهاد ويسعون بالفساد لافتراق كلمة المسلمين" انتهى.

ومن مقاصد العرب في الإبهام والتنكير والإجمال هو التعظيم والتفخيم من منزلة ومكانة هذا الأمر المبهم والمجمل، فإبهام الثواب الذي يعطى للمجاهد على قتل الخوارج كما جاء في سائر الأحاديث السابقة هو لتعظيم شأنه وتفخيمه كما في قوله تعالى ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾.

الفضيلة الثالثة: أفضل الأجر لقاتل الخوارج وأفضل الشهادة لمن قتله الخوارج

عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاه مال فجعل يضرب بيده فيه فيعطي يمينا وشمالا، وفيهم رجل مقلص الثياب ذو سيماء بين عينيه أثر السجود، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضرب يده يمينا وشمالا حتى نفد المال، فلما نفد المال ولى مدبرا، وقال: والله ما عدلت منذ اليوم، قال: فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقلب كفه ويقول: «إذا لم أعدل فمن ذا يعدل بعدي، أما إنه ستمرق مارقة يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه حتى يرجع السهم على فوقه، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يحسنون القول ويسيئون الفعل، فمن لقيهم فليقاتلهم، فمن قتلهم فله أفضل الأجر، ومن قتلوه فله أفضل الشهادة، هم شر البرية بريء الله منهم، يقتلهم أولى الطائفتين بالحق» رواه الحاكم (2659) وصححه، ووافقه الذهبي.

فهذا يفيد أفضل الأجر لقاتلهم وأفضل الشهادة لمن قتلوه.

الفضيلة الرابعة: طوبى لمن قتل الخوارج وطوبى لمن قتلوه

عن أنس بن مالك وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل، ويسيئون الفعل، ويقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يرد على فوقه، شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم» قالوا: يا رسول الله فما سيماهم؟ قال: «التحليق» رواه أبو داود (4765) والحاكم (2649) وصححه الألباني في صحيح الجامع (3668).

وروى ابن أبي عاصم في السنة (913) والنسائي في الكبرى (8515) في حديث طويل أن عائشة ﵂ أنها قالت عن الخوارج: «طوبى لمن شهد هلكتهم» وصححه الألباني في ظلال الجنة (2-443).

وروى الإمام أحمد (19149) عن سعيد بن جمهان قال: كنا نقاتل الخوارج وفينا عبد الله بن أبي أوفى وقد لحق غلام له بالخوارج، وهم من ذلك الشط، ونحن من ذا الشط، فناديناه أبا فيروز أبا فيروز، ويحك هذا مولاك عبد الله بن أبي أوفى؟ قال: نعم الرجل هو لو هاجر، قال: ما يقول عدو الله، قال: قلنا: يقول: نعم الرجل لو هاجر، قال: فقال: أهجرة بعد هجرتي مع رسول الله ﷺ؟ ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «طوبى لمن قتلهم وقتلوه» وصححه الأرناؤوط في تعليقه على المسند (31-486).

وفي حديث أبي أمامة ﵁ عن الخوارج عند الطبراني في الكبير (8034) أنه قال «خير قتلى من قتله هؤلاء - ثلاثا يقولها - طوبى لمن قتلهم وقتلوه - ثلاثا يقولها».

واختلف العلماء والشراح في تفسير كلمة طوبى فقيل هي الجنة، وقيل هي شجرة في الجنة، وقيل هي الحالة الطيبة العليا لأن طوبى على وزن فعلى التي تفيد التفضيل كحسنى وكبرى، فالمراد يكون الإخبار أو الدعاء لهم بذلك، قال في المرقاة (4-1552) عن طوبى " فعلى من الطيب والمراد بها الثناء عليه والدعاء له بطيب الحال في الدارين" انتهى.

وهذا التعبير يأتي في النصوص النبوية لخصوص بعض الأعمال العلية لمدحها ورفع منزلتها.

الفضيلة الخامسة: من قاتل الخوارج كان أولى بالله منهم

سبق في حديث أنس بن مالك وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في الخوارج: «يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم» رواه أبو داود وغيره.

أي كان أقرب إلى الله تعالى وأدنى من غيرهم، وقد اختلف في الضمير في قوله (منهم) على من يعود فقيل يعود على الأمة أي أقرب إلى الله تعالى من باقي الأمة، وقيل يعود على الخوارج أي أن من قاتلهم فهو أولى بالله وأقرب إليه ولا يلزم من هذا إثبات الولاية والقرب لهم فإنه كقوله ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾، فلا يلزم منه إثبات الخيرية للكفار، ولكنهم لما كانوا يدعون أنهم يدعون إلى الله وإلى كتابه وهم ليسوا منه في شيء، ذكر أن غيرهم هم أولى بالله تعالى وأما هم فهم شر الخلق والخليقة.

قال الطيبي في شرح المشكاة: "قوله: «أولى بالله منهم» ((شف)): الضمير في (منهم) عائد إلي الأمة، أي أن من قاتلهم من أمتي أولي بالله من باقي أمتي، أقول: هذا علي تأويل الوجه الأول في قوله: «في أمتي اختلاف وفرقة» أي أهل اختلاف. وأما علي الوجه الثاني فالضمير راجع إلي الفرقة الباطلة، ويكون أفعل كما في قوله تعالى: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ وقولهم: العسل أحلي من الخل، فمعناه أن المقاتل أبلغ في الولاية منهم في العداوة" انتهى.

الفضيلة السادسة: كون قتال الخوارج من أعظم مناقب وخصائص علي رضي الله عنه

عن أبي سعيد ﷺ قال: «كنا مع رسول الله ﷺ، فانقطعت نعله فتخلف علي يخصفها فمشى قليلا ثم قال: «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» فاستشرف لها القوم، وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، قال أبو بكر: أنا هو، قال: «لا» قال عمر: أنا هو، قال: «لا، ولكن خاصف النعل» – يعني عليا – فأتيناه فبشرناه، فلم يرفع به رأسه كأنه قد كان سمعه من رسول الله ﷺ».

رواه الإمام أحمد (11289) وابن حبان (6937) والحاكم (4621) واللفظ له، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (10-74) وقال الأرناؤوط في تعليقه على المسند (18-296) "حديث صحيح".

هذا الحديث يذكر في فضائل ومناقب علي بن أبي طالب ﷺ.

ومعنى القتال على تأويل القرآن أي على فهم وتفسير القرآن التفسير الحق، فالخوارج يعتقدون بتنزيل القرآن ولكنهم يضلون في تأويله وفهمه ويفسرونه تفسيرا باطلا، فهو ﷺ خُصّ بأنه قاتل على تأويل القرآن أهل الضلال كما قاتل المصطفى ﷺ على تنزيل القرآن الكفرة.

قال الذهبي رحمه الله في تاريخ الإسلام (3-643) معلقا على الحديث: " قلت: فقاتل الخوارج الذين أولوا القرآن برأيهم وجهلهم" انتهى.

وقوله في الحديث «فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر....» أي تطلعوا لنيل هذه الخصيصة، وهذا يفيد عظم هذا العمل ورفعة هذه الخصيصة التي ذكرت وجعلت كل واحد من الصحابة يتطلع لأن يكون هو المراد بهذه المنزلة.

قال المحب الطبري في الرياض النضرة (3-157) معلقا على الحديث: "وقوله: استشرفنا أي: تشوفنا وتطلعنا، تقول: استشرفت الشيء واستكشفته بمعنًى وهو أن تضع يدك على حاجبك كالذي يستظل به من الشمس؛ حتى يتبين لك الشيء، حكاه الهروي" انتهى.

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه (37734) عن علي رضي الله أنه قال على منبره: «إني أنا فقأت عين الفتنة، ولو لم أكن فيكم ما قوتل فلان وفلان وأهل النهر (أي الخوارج)، وأيم الله لولا أن تتكلوا فتدعوا العمل لحدثتكم بما سبق لكم على لسان نبيكم، لمن قاتلهم مبصرا لضلالتهم عارفا بالذي نحن عليه» ورجاله ثقات، وله طريق آخر عند النسائي في الكبرى (8521).

وقال النووي في شرح مسلم (7-162) معلقا على حديث «لأقتلنهم قتل عاد» "وفيه الحث على قتالهم وفضيلة لعلي ﷺ في قتالهم" انتهى.

الفضيلة السابعة: خير قتيل تحت ظل السماء من قتله الخوارج

روى الإمام أحمد في مسنده (22151) عن سيار قال: «جيء برءوس من قبل العراق فنصبت عند باب المسجد، وجاء أبو أمامة فدخل المسجد فركع ركعتين، ثم خرج إليهم، فنظر إليهم فرفع رأسه فقال: «شر قتلى تحت ظل السماء، ثلاثا، وخير قتلى تحت ظل السماء من قتلوه. وقال: كلاب النار» ثلاثا، ثم إنه بكى، ثم انصرف عنهم، فقال له قائل: يا أبا أمامة أرأيت هذا الحديث؟ حيث قلت: كلاب النار، شيء سمعته من رسول الله ﷺ أو شيء تقوله برأيك؟ قال: سبحان الله إني إذا لجريء لو سمعته من رسول الله ﷺ مرة أو مرتين، حتى ذكر سبعا لخلت أن لا أذكره. فقال الرجل: لأي شيء بكيت؟ قال: رحمة لهم أو من رحمتهم» وصحح الحديث الأرناؤوط في تعليقه على المسند (36-470).

وفي رواية الطبراني في الكبير (8034) أنه قال «كلاب النار، كلاب النار - ثلاثا - شر قتلى قتلت تحت السماء - ثلاثا يقولها - خير قتلى من قتله هؤلاء - ثلاثا يقولها - طوبى لمن قتلهم وقتلوه - ثلاثا يقولها -».

الفضيلة الثامنة: الفلاح والنجاح لمن قتله الخوارج

روى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس قال: لما قدمت الحرورية علينا فرَّ أبي فلحق بمكة، ثم لقي ابن عمر رضي الله عنهما فقال: قدمت الحرورية علينا ففررت منهم، ولو أدركوني لقتلوني، فقال ابن عمر: «أفلحت إذا وأنجحت».

ونختم بما جاء في المقارنة بين قتال الخوارج وقتال المشركين

وفي هذا المعنى روى ابن أبي شيبة (37911) من طريق يزيد بن هارون عن حماد، عن أبي عمران الجوني، عن عبد الله بن رباح عن كعب الأحبار قال: «الذي تقتله الخوارج له عشرة أنوار، فضل ثمانية أنوار على نور الشهداء».

ورجاله ثقات، وكعب ممن يروي عن بني إسرائيل بعض الأخبار التي لا تصدق ولا تكذب.

وفي رواية الآجري في الشريعة (41) عن كعب الأحبار قال: «للشهيد نوران، ولمن قتله الخوارج عشرة أنوار له».

وقال ابن هبيرة في الإفصاح (280-1) على قول علي ﷺ السابق «لولا أن تبطروا لحدثتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم، على لسان مُحَمَّد ﷺ» "وإنما ذكر هذه لئلا يرى أحد في وقت ظهور مثلهم أن قتال المشتركين أولى من قتالهم، بل قتالهم على هذا الكلام أولى من قتال المشركين لأن في ذلك حفظ رأس مال الإسلام وقتال المشركين هو طلب ربح في الإسلام" انتهى، وتعليله مقبول فيما لو كان قتال المشركين من باب جهاد الطلب.

وفي هذا المعنى روى ابن أبي شيبة في المصنف (37886) من طريق وكيع، عن عكرمة بن عمار، عن عاصم بن شميخ، قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: ويداه هكذا يعني ترتعشان من الكبر: «لقتال الخوارج أحب إلي من قتال عدتهم من أهل الشرك» وهذا الأثر ضعفه بعض أهل الحديث لجهالة عاصم بن شميخ.

وروى أيضا (37938) من طريق آخر عن يزيد بن هارون قال: أنا العوام بن حوشب قال: حدثني من سمع أبا سعيد الخدري ﷺ يقول في قتال الخوارج: «لهو أحب إلي من قتل الديلم».

والديلم جنس من الترك الذين كانوا مشركين في زمن أبي سعيد ﷺ.

وقد قال الذهبي في تاريخ الإسلام (8-6) في حوادث سنة خمس وعشرين ومائة عن غزوة ومعركة فاصلة كانت بين الخوارج بقيادة عبد الواحد الهواري والمسلمين بقيادة حنظلة بن صفوان في المغرب الإسلامي في العهد الأموي " وكانت الفتن شديدة بالمغرب ونيران الحرب تستعر، وعليها الأمير حنظلة بن صفوان، فزحف إليه عكاشة الخارجي في جمع فالتقوا، فكانت بينهم وقعة لم يسمع بمثلها، وانهزم عكاشة، وقتل من البربر من لا يحصى، ثم تناخوا وسار رأسهم عبد الواحد الهواري بنفسه، فجهز حنظلة لملتقاه أربعين ألفا فانكسروا، وولوا الأدبار وقتل منهم عشرون ألفا، ونزل عبد الواحد بجيوشه على فرسخ من القيروان، وكان فيما قيل في ثلاث مائة ألف، فبذل حنظلة الأموال، والسلاح وعبأ عشرة آلاف، فخرجوا ومعهم القراء والوعاظ وكثر الدعاء، والاستغاثة بالله وضج النساء والأطفال، وكانت ساعة مشهودة، وسار حنظلة بين الصفوف يحرض على الجهاد، واستسلمت النساء للموت لما يعلمن من رأي هؤلاء الصفرية، ثم كبر المسلمون وصدقوا الحملة وكسروا أغماد سيوفهم، والتحم الحرب وثبت الجمعان، ثم انكسرت ميسرة الإسلام، ثم تراجعوا وحملوا فهزموا العدو، وقتل عبد الواحد الهواري وأتي برأسه، وقتل البربر مقتلة لم يسمع بمثلها، وأسر عكاشة وأتي به فقتله حنظلة، وأمر بإحصاء القتلى بالقصب بأن طرح على كل قتيل قصبة، ثم جمع القصب فبلغت مائة ألف وثمانين ألفا، وهذه ملحمة مشهودة ما سمعنا قط بمثلها، وهؤلاء الكلاب يستبيحون سبي نساء المسلمين وذريتهم ودماءهم ويكفرون أهل القبلة، وتعرف بغزوة الأصنام باسم قرية هناك.

وعن الليث بن سعد قال: ما غزوة كان أحب إلي أن أشهدها بعد غزوة بدر من غزوة الغرب بالأصنام" انتهى.

والحمد لله رب العالمين.

